



# العاصفة مجلة

المجلد الرابع، ٢٠١٢ م

ISSN : 840-2277-9914



قسم العربية، كلية الجامعة  
ثرونتبرم - ٦٩٥٠٣٤، كيرالا، الهند

## نشأة الشعر في الأدب العربي

جليل م. هـ. م.

أستاذ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والثقافة، جامعة الشرق، سري لانكا

إن الحياة البشرية قد تبلور فيها جلاء الأخلاق الاجتماعية في تاريخ موغل منذ أقدم العصور، بينما لاشك في أن الشعر العربي له تاريخ محدد بفترة معينة بالنسبة لنشأته في مجال الأدب العربي. وإن كان الشعر العربي يهتم أكبر الاهتمام منذ البداية بذكر الأخلاق، فمن البديهي أن نشأته قد اطلع على نوافذ المجتمع، و إذن لا يتأني ثمة طوال الوقت في أن ندرك الشعر العربي على أنه قد بدأ مداره من خلال الأخلاق الاجتماعية، أو أن الأخلاق الاجتماعية قد بدأت نشأتها في مجال الأدب العربي بظهور الشعر العربي.

وأما نشأة الشعر العربي فقد تناوله عديد من الكتب الأدبية والتاريخية، وجل هذه الكتب قد ذكرت أن تاريخ الشعر العربي يبدأ بمائة وخمسين سنة قبل الهجرة، (١) و يقول الجاحظ: أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله و سهل الطريق إليه امرئ القيس بن حجر و مهلهل بن ربيعة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام، (٢) وهذه ملاحظة دقيقة، لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول، (٣) و لمزيد من الوضوح حيث قال مصطفى صادق الرافعي: "إن لغة العرب العدنانية فإنها انفصلت عن اللغة السامية التي تفرعت منها، ثم استقلت طريقها بالوضع و الارتجال. ثم أخذوا في تهذيبها و تصفيتها حتى خرجت منها لغة مضر، التي تعد من صميم العربية، و من هذه اللغة خرج الشعر". و باعتبار فترة مضر قد لاحظ مصطفى صادق الرافعي بوضوح إذ يقول " إن الشعر العربي لا يتجاوز ظهوره عن مئتي سنة قبل الهجرة على التحقيق (٤) وأن من يرغب في العلم بمعرفة ظهور الشعر العربي يتكأ على مركب الفترة حتى يحدد زمنا معيناً و يركز على رأي واحد من الأقوال المختلفة المتفاوتة، و لكن ثمة عجيب من الروايات التي يطأطأ منها القراء رؤوسهم، و هي أن الشعر العربي لقد ظهر بلسان قحطان بن هود عليه الصلاة و السلام يسلي به بعض ما كان بأبيه هود، من الكآبة و الجزع و الغم و الحزن على قومه عاد (٥) فقال:

إني رأيت أبي هودا يورقه  
حزن دخيل و بلبال و اسهاد  
لا يحزننك أن طاحت بداهية  
عاد بن لاوي فعاد بنسما عاد (٦)

- ١ أحمد الهاشمي، جواهر في أدبيات و إنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، ص ٣٤٢، انظر لمزيد: أحمد أمين، فجر الإسلام، لجنة التأليف و الترجمة، ١٩٣٥، ٧٢/٣.
- ٢ كتاب الحيوان ( طبعة الحلبي) ٧٤/١
- ٣ د/ شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط/ ١٠، ص ٣٨
- ٤ تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ج/ ٣، ص ٢٢
- ٥ د/ رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظهره و علله وقوانينه، ص ١١
- ٦ المرجع السابق، ص ١١، أنظر: أصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج/ ٤

وإذا ذهبنا فوق ذلك نجد ما روي لنا بأن آدم عليه الصلاة والسلام قال شعرا عربيا في رثاء ابنه (هابيل) حين قتله (قابيل) وقالوا: إن أول من أقوي في الشعر هو آدم عليه الصلاة والسلام وهو يقول في قصيدته (١) تلك:

تغيرت البلاد و من عليها فوجه الأرض مغبر قبيح  
تغير كل ذي حين و طيب وقل بشاشة الوجه المليح (٢)

وأما الذين برروا هذا الرأي فأولئك ممن استنبطوا من قول أخرجه ابن عساكر في التاريخ ، عن ابن عباس ، أن آدم عليه الصلاة والسلام كان لغته في الجنة العربية ، فلما سلب الله (٣) تعالى فتكلم بالسريانية فلما تاب رد الله تعالى عليه العربية(٤). ومن هنا يتبادر إلى الذهن أن الشعر العربي قد ظهر في تاريخ البشرية بمجئ آدم عليه الصلاة والسلام، و لكن الجدل بين الرواة مازال يقتضي جلاء التوضيح لإزالة هذا الغموض، وإذن يبدو أن الشعر العربي الذي صحت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة، ينتهي أقدم مطولاته إلى مهلهل بن ربيعة وأقدم مقطعاته إلى نفر لعلم لم يبعثوا عنه طويلا مثل العنبر بن عمرو بن تميم ودريد بن زيد بن نهد(٥). ونعتقد بأن الشعر العربي قد جمع في الإسلام، جمعه رواة حاذقون تخصصوا برواية شعر العرب، قال محمد بن سلام الجمحي: " وكان أول من جمع أشعار العرب و ساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به، كان ينحل شعر الرجل غيره و يزيد في الأشعار"(٦). واشتهر بجمعه أيضا أبو عمرو بن العلاء(٧) وخلف بن حيان أبو محرز الأحمر وأبو عبيدة والأصمعي والمفضل بن محمد الضبي الكوفي صاحب المفضليات(٨). وهؤلاء الرواة المشهورون لم يسعدهم حظ برواية الأشعار القديمة التي تنسب إلى قحطان بن هود أو آدم عليه الصلاة والسلام ، و من أجل ذلك قد خفي علينا " كأكثر الأمم " مبدأ قول الشعر و أول من قاله : أما ما تنسب من الشعر إلى آدم و إبليس و الملائكة و الجن و العرب البائدة فهو حديث خرافة(٩).

وإذن يمكن القول إن الروايات التي تتعلق بظهور الشعر العربي قد أشارت إلى فترة لا تزيد عن مائتي سنة قبل الهجرة، و لكن ثمة خلاف وجدال بين الرواة والكتاب فيمن مهد الطريق إلى الشعر لأول مرة. والجدير بالذكر أن محمد ابن سلام الجمحي قد ذكر " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات ، يقولها الرجل في حاجته و إنما قصّدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف(١٠) ثم يقول " و كان أول من قصّدت القصائد وذكر الوقائع، المهلهل

١ المرجع السابق : نفس الصفحة.

- ٢ أحمد بن أمين الشنقيطي ، الفاضل الرحالة ، الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ تحقيق و شرح: د/ عبد العال سالم مكرم ، ط/١ ، ج/٦ ، ص ٢١٤
- ٣ السيوطي العلامة ، المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ ، شرح و تعليق: محمد حاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم على محمد الجاوي ، ج/١ ، ص ٣٠ و ما بعدها.
- ٤ أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في الأدبيات و إنشاء لغة العرب ، دار الكتب العلمية ، ص ٣٤٢
- ٥ طبقات فحول الشعراء ، ص ١٤
- ٦ أبو عمرو بن العلاء توفي سنة ١٥٤ للهجرة
- ٧ د/ جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، و مكتبة النهضة ، بغداد، ١٩٧٦ م ، ط/٢، ج/١ ، ص ٦٨
- ٨ أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، دار الكتب العلمية ، ص ٣٤٢
- ٩ طبقات فحول الشعراء ، مطبعة المدني القاهرة ، قرأه و شرحه: أبو فهر محمود محمد الشاكر ، السفر الأول ، ص ٢٦
- ١٠ المصدر السابق : ص ٣٩ ، أنظر أيضا : د/ محمود فهمي حجازي ، تاريخ التراث العربي، راجع الترجمة: د/ عرفة مصطفى د/ سعيد عبد الرحيم إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، ١٩٨٣ م، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص ١٣ و ما بعدها.

بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وانل" (١) ويحوز هذا الرأي شوقي ضيف حيث يقول "فقد كان الشعراء يغنون أشعارهم، والأدلة على ذلك كثيرة- فالمهلل أقدم شعراء العرب وأول من قصّد القصائد" (٢). ولكن الجاحظ ومن معه (٣) قد اقتصوا بذكر امرئ القيس بن حجر أولاً ثم مهلهل بن ربيعة ثانياً، في مسألة أول من نهج الطريق إلى الشعر (٤)، و أما الخلاف بين هؤلاء فلم يكن بشأن زمن ظهر فيه الشعر العربي، بل كان بأولية الشاعر العربي. وهذا الاختلاف وذاك الجدال يدل بطريق غير مباشرة على أن الشعر العربي قد نما و ترعرع حتى استوي قصيدا متينا إلى يد امرئ القيس وإضراجه من فحول الجاهلية. وقد تبين من اختيار فحول الشعراء (٥)، عند ابن سلام الجمحي بأن امرئ القيس قد مكن قدميه في تاريخ الشعر العربي بعبقريته من حيث وفرة الشعر و تكوين جزالة المعاني عن طريق استخدام متانة الألفاظ ، فضلا عن التطبع بعيدة عن التصنع ، كما زعم أبو عمرو بن العلاء : إن الشعر فُتح بأمرئ القيس و ختم بذِي الرمة. وهذا قد تيسر لنا بأن ندرك الشعر العربي أنه قد ظهر بقرنين أو أقل قبل الهجرة , بحيث بدأ تاريخه امرئ القيس بن حجر الذي شكل الشعر بتشكيل كامل , وقد انتهى بنا بحثنا عن نشأة الشعر العربي.

١ الفن و مذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف، القاهرة ، ط/١٠ ، ص ٤٢

انظر: أغاني (دار الكتب) ٥١/٥

٢ د/ جواد علي ، صاحب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٣ الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ١/٧٤ أنظر: د/ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت و مكتبة النهضة ، بغدا

٤ الجاحظ ، كتاب الحيوان ، ١/ أنظر: د/ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت و مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٧٦م ، ط/٢ ، ج/ ٩ ، ص ٤٠٧

٥ د/ يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ، خصائصه و فنونه ، مؤسسة الرسالة ، ص ١٢٧